جغرافية التمثلات

(دراسة نظرية)

سليماني العربي(*)

بو بكراوي الحسن(**)

ملخص: تكمن أهمية التمثلات في علاقتها المباشرة بمختلف العناصر المكونة للمجال الجغرافي. إلا أن الإنتاج الجغرافي في كثير من الدول، وبخاصة العربية منها، لا يأخذ بعين الاعتبار دور التمثلات الفردية والجماعية في البحث وخطط التهيئة. في هذا السياق تطرح جغرافية التمثلات بوصفها تياراً جديداً يرتكز على التكامل بين الذات والموضوع في دراسة المجال، ويستفيد من علوم أخرى مثل السوسيولوجيا والسيكولوجيا والأنثروبولوجيا واللسانيات.

إن جغرافية التمثلات جغرافية تعنى بالحركة والعمل ودراسة تنظيم المجال والممارسات المجالية الناتجة عن ذلك. إن المجال الجغرافي مجال يتداخل فيه المدرك والمعاش والمتمثل، ويحبل بكثير من العلامات والرموز والقيم الفردية والجماعية، ومن ثم فهو يتجاوز التصور الأوقليدي ذا النظرة الأحادية للظواهر الجغرافية. لقد أدى إدراج التمثلات في الخطاب الجغرافي منذ الخمسينيات إلى خلخلة كثير من المفاهيم المهيكلة للبحث والتدريس على السواء، مثل المجال والمقياس والإقليم والمكان.

ويأتي هذا الإسهام لإلقاء الضوء على جغرافية نُعدها ذات راهنية قصوى، تلك هي جغرافية التمثلات.

المصطلحات الأساسية: التمثلات، المجال المتمثل، المخيال، المجال الجغرافي، الدال، المدلول، الذات، الموضوع، تهيئة المجال، انتشارية، الفكر.

---

* مفتش بالثانوي – الاجتماعيات، مراكش – المغرب.
** أستاذ بجامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش – المغرب.

مقدمة:

أصبح مفهوم التمثلات في السنوات الأخيرة من المفاهيم الأساسية في دراسة مختلف العلوم وتدريسها، وخصوصاً العلوم الإنسانية والاجتماعية. بالنسبة للجغرافيا، فقد وجدت نفسها أمام إشكالية التمثلات أكاديمياً ومدرسياً منذ خمسينيات القرن الحالي. ففي سياق الجغرافيا الجديدة وتشعب المعرفة المرتبطة بالمادة بدأ الحديث عن ذاتية المجال وعلاقته بالإحساسات والمخيال. ذلك أن المعرفة الجغرافية متميزة بخاصيتي الدينامية والسيرورة، وكلتاهما تحيل بالضرورة إلى التمثلات المجالية لدى الفرد والجماعة.

إن أهمية التمثلات تكمن اليوم في إمكانية توظيفها في إعداد التراب وتدبير البيئة ودراسة التأثيرات (Les impacts)، وفي العملية التعليمية أيضاً.

إن الهدف من هذه الدراسة هو تحديد هذا المفهوم الجديد/القديم من خلال التطورات التاريخية والدلالية والسيميولوجية التي عرفها، وبعد ذلك القيام بمقاربة جغرافية التمثلات من حيث الولادة المتعسرة والمنطلقات والمبادئ المنهجية والابستمولوجية، وأخيراً معرفة واقع التمثلات في الإنتاج الجغرافي في المغرب، ثم ردود الفعل المترتبة.

1 – التطور التاريخي والسيميائي لمفهوم التمثلات:

1–1 التمثلات: مفهوم فلسفي النشأة

يُعد السؤال حول علاقة الواقع بالفكر، وحدود التطابق والانفصال بين الخطاب والحقيقة وما ندركه منها سؤالاً قديماً من وجهة نظر تاريخية. ذلك أن كثيراً من فلاسفة الإغريق وفلاسفة الأنوار استهلكوه بكثرة. وتفادياً للإطالة نكتفي بنموذجين مثالين هما: أفلاطون وكانط.

– **أفلاطون** (428–347 ق.م): يعد أول من نقل الحوار الفلسفي من الأرض إلى السماء. إن المعرفة عنده تتم عبر مستويات ثلاثة: أولاً مستوى الحواس، وثانياً مستوى المثل أثناء الحياة في العالم المحسوس، ثم أخيراً مستوى المثل قبل حياتنا وبعدها. يرى أفلاطون أن المعرفة الحسية ليست حقيقة مطلقة ما دامت مركبة وقابلة للانحلال، وإنما هي معرفة بالحقيقة المختلفة المتغيرة. لذلك لا بد من تدخل الفكر الذي هو من فعل النفس. ويمكن فهم العلاقة بين التمثلات والواقع والحقيقة من خلال مجاز الكهف أو المغارة (L'allégorie de la caverne). وهو مثال رمزي يفترض وجود أشخاص في

كهف مظلم ينفذ إليه الضوء من فتحة. هؤلاء الناس مقيدون ووجوههم متجهة إلى الجدران وخلفهم الفتحة. وعند مرور أناس آخرين حاملين تماثيل أو أشياء مصنوعة تنعكس هذه على جدار الكهف، بيد أن المقيدين يدركون الظلال على أنها الحقيقة «... إن أناساً مثل هؤلاء لا يضفون صفة الحقيقة إلا على ظلال أشياء مصنوعة»[1].

كانط (1724-1801): هو أحد فلاسفة الأنوار العقلانيين، وما يتميز به هو الثورة التي أحدثها في المعرفة الإنسانية، حيث تجاوز الثنائية الديكارتية وعمل من أجل المصالحة (Transaction) بين الفطرية والإمبريقية. إن المعرفة عند كانط تأتي من خلال عنصرين رئيسين هما: الحساسية (La sensibilité) والفهم (L'entendement). فالحساسية ترتبط بالمادة وقابلية الانطباع بالمحيط الخارجي. أما الفهم فيرتبط بالصورة والقدرة على التفكير في الانطباعات الحسية. وهكذا تصير المعرفة بعدية (A posteriori) وقبلية (a priori) في الآن نفسه، يقول كانط: «تصدر معرفة فكرنا عن مصدرين أساسيين: الأول هو القدرة على تلقي التمثلات (Représentations قابلية الانطباعات)، والثاني هو القدرة على التفكير في موضوع ما بوساطة هذه التمثلات (تلقائية التصورات Concepts). نُعطى الموضوع بفضل القدرة الأولى، ويصبح بفضل الثانية وفي علاقة مع ذلك التمثل موضوعاً مفكراً فيه، فالحدوس والتصورات تكون إذن عناصر معرفتنا بأكملها...»[2]. لقد بين كانط أن «العلوم الاجتماعية التي تعد الجغرافيا واحداً منها لا تصل إلى معرفة الأشياء والموضوعات التي تبغي دراستها، وإنما تصل فقط إلى تمثلات حول هذه الأشياء»[3].

1-2 التمثلات: مفهوم حاضر في كل التخصصات

لقد استطاعت العلوم الدقيقة أو «الحقة» خلال القرن التاسع عشر، وبعدها العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل الجغرافيا، أن تحقق القطيعة الابتسمولوجية مع أمها الفلسفة. إلا أن هذا الإنجاز لم يمنع من اقتباس مفاهيم محورية مثل مفهوم التمثلات، من طرف مختلف الحقول المعرفية والعلمية نذكر منها:

---

(1) Platon (1966). *La république*. Flammarion. Paris: 74.

(2) إيمانويل كانط (1987). نقد العقل الخالص، الترجمة الفرنسية: محمد وقيدي، ما هي الابستمولوجيا؟ مكتبة المعارف، ص155.

(3) Bailly, A., & Ferras, R. (1997). *Eléments d'épistémologie de la géographie*. Armand Colin, Paris: 15.

1-2-1 علم النفس الاجتماعي: يحلل التمثلات بوصفها أنساقاً ذهنية وأطراً مرجعية تتيح للفرد إمكانية تأويل الأحداث والوقائع الخارجية. ذلك «أن تحصيل العالم الذي يحيط بنا، وفهمه وحل المشكلات التي يطرحها - كل ذلك - لا يتأتى إلا عن طريق التمثلات التي تتكون لدينا عن هذا العالم ذاته»[4].

ويرى مؤلفا كتاب «أصول المعرفة» أن علم النفس الاجتماعي يجازف بأن يبقى غير معني بتحليل سيرورات تملك المعرفة، وربما لا يسمح بفهم الكيفية التي يبني بها الفرد الواقع أو يهيكله، وخصوصاً الكيفية التي تتحقق بها عملية إدماج المعرفة العلمية، وزيادة على هذا فإن علم النفس الاجتماعي لا يتيح إمكانية البحث في الكيفية التي يتم بها تثبيت كل تمثل فردي ضمن مجموعة من الدلالات والقيم الاجتماعية[5].

1-2-2 علم نفس النمو المعرفي: من رواد هذا التخصص قطب الابستمولوجيا التكوينية المعاصرة جان بياجي، وكذلك جروم برونير وفيكوتسكي وباشلار. يعرف بياجي التمثل هكذا: «التمثل هو إما الإثارة والاستحضار الذهنيان لأشياء غائبة، وإما إكمال المعرفة الإدراكية لأشياء حاضرة بالرجوع إلى أشياء أخرى ليست مدركة في الآن نفسه»[6].

إن التمثلات حاضرة في مختلف مراحل النمو العقلي الأربع التي يمر بها الطفل وفق البنائية أو التكوينية البياجية. هذه المراحل الأربع هي: المرحلة الحسحركية والمرحلة ما قبل الإجرائية والمرحلة الملموسة الإجرائية، ثم المرحلة المنطقية الصورية. وقد طبق بياجي مقاربة تعتمد على تقانة المقابلة من أجل رصد تمثلات الطفل ومعرفتها طوال هذه السيرورة الرباعية الكرونولوجيا. فبفضل الرسم الذي ينجزه الطفل والحركات التي يقوم بها أو الوصف العقلي لاحظ بياجي أن كل فرد يؤول الواقع وفق تدخلاته، كما أن البناء يكون نتيجة لتفاعل الذات والموضوع، إذ إن الإنسان يبني ذاته في اللحظة التي يبني فيها العالم. إن التمثل هو الوسيط بين

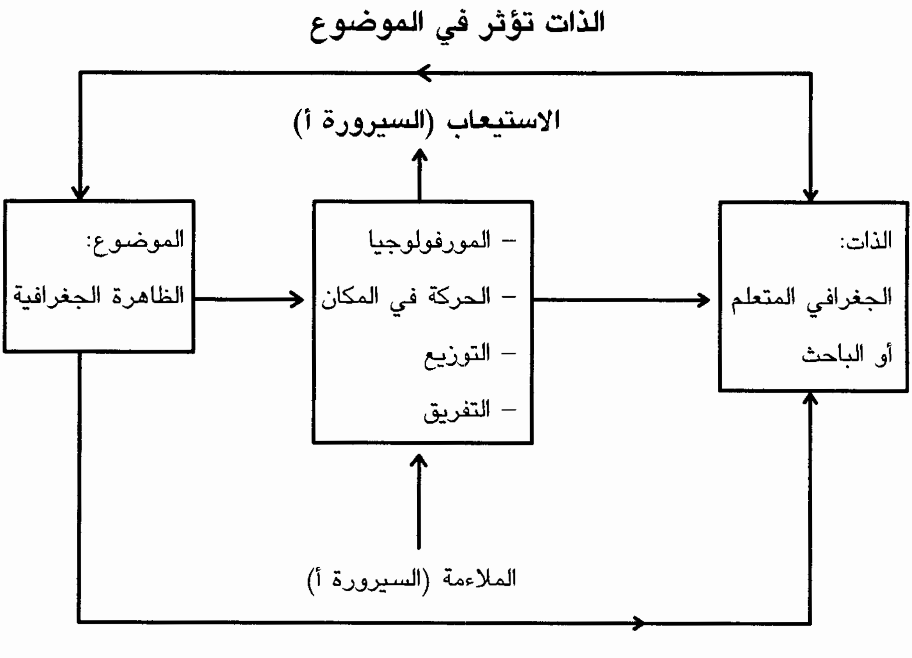
---

(4) Jodelet, D., et al (1987). *Les représentations sociales*. P.U.F. Paris: 31.

(5) Giordan, A., al. (1987). *Les origines du savoir*. Delachaux et Niestlé: 67-69.

(6) Piajet, j., & Inhelder, B (1947). *La représentation de l'espace chez l'enfant*. P.U.F, Paris.

الإدراك والمفهمة، أي نتاج الحواس والفكرة المجردة العامة. فعن طريقه ينتقل الجغرافي مثلاً من إدراك الكائنات الحية وفهمها (الإنسان، والحيوان، والنبات) إلى مفهوم العشيرة الإحيائية (Biocénose)، ومنها إلى الوسط أو المدى الحيوي (Biotope)، ثم إلى مفهوم النظام البيئي بوصفه مفهوماً أكثر شمولية (Ecosystème). وهكذا فإن فهم ظاهرة جغرافية جديدة ودراستها يقترنان ببناء تمثلات جديدة منظمة في كلية منسجمة وديناميكية. فالتمثل هو سيرورة لاستعمال صور ذهنية، حيث تحصل المعرفة من خلال التفاعل بين الذات والموضوع، أي من خلال الاستيعاب (Assimilation) والملاءمة (Accomodation).



شكل 1: ابستمولوجية التفاعل بين الذات والموضوع مستوحاة من جان بياجي،
le structuralisme Que sais je n° 1311, 1968 P.U.F **(بتصرف كبير)**

– الاستيعاب هو تأويل معطيات التجربة واستدخالها في الأطر المعرفية الحالية للذات. وهذا يعني أن الذات تؤثر في الموضوع بوساطة تمثلاتها.

– الملاءمة: هي تحويل الأطر المعرفية وفق المعطيات الجديدة من خلال تأثير الموضوع في الذات.

وقد أقام برونير مصالحة مع بياجي وفيكوتسكي ونقد السلوكيين والتجريبيين.

1-2-3 علم النفس المعرفي: يعرف التمثلات بأنها سيرورة معرفية ونتاج لهذه السيرورة في الوقت نفسه. إنها مرتبطة ببنية كامنة تتوقف على منظومة تشكل حقلها الدلالي. كما أن التمثلات قد تكون نمطاً من أنماط التفسير والتأويل، إذ إن لكل منا إطاراً مرجعياً يستند إليه في تفسير المعطيات الخارجية. والعلاقة بين السيرورة (Processus) والمعرفة (Connaissance)، علاقة تكوينية في رأي بوربولان[7]. وفي السياق نفسه يثير الجغرافي إيف أندري الاستعمال غير الملائم أحياناً لمفهوم التمثلات، كأن يكتفي الباحث بالتمثلات بوصفها حصيلة وإنتاجاً دون الاكتراث بالسيرورة. ويرجع هذا التقصير في رأيه إلى تجاهل مسلمة أساسية، هي أن «التمثلات التي يمكن الاشتغال عليها هي قبل كل شيء، نتيجة لموضعة أو موضوعانية (Objectivation) يقودها الباحث. فهو الذي يضع فرض التمثلات، وهو الذي يعد الاستمارة، وهو الذي يعطي الأجوبة المعنى والدلالة»[8].

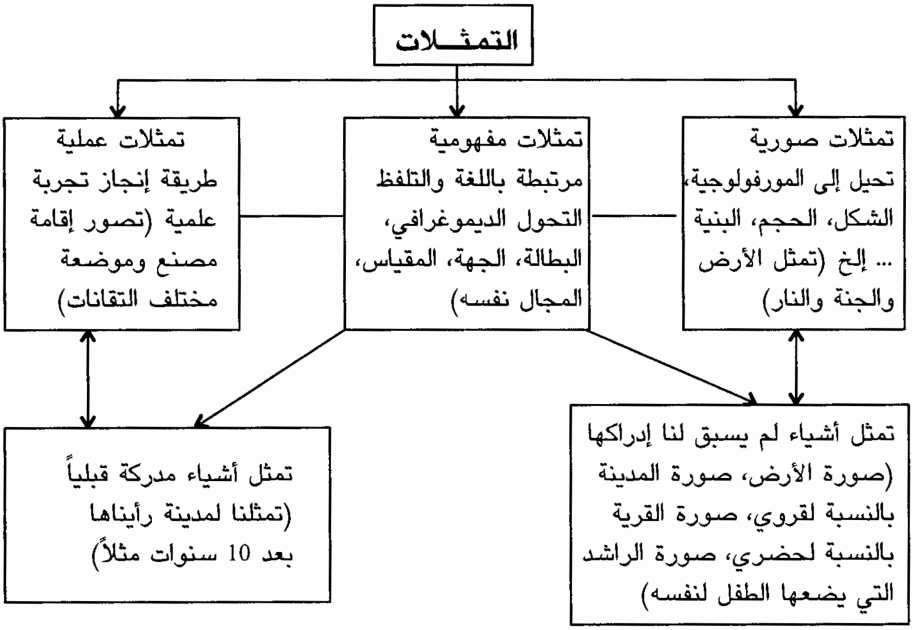
1-2-4 علم الاجتماع المغربي: يرى محمد بوغالي أن «كل تمثل إلا ويستمد معطياته وتنظيمه – ولو كان مختزلاً – من سجلات ديناميكية خاصة، لا تقبل الشك أحياناً»[9]، فمن خلال تمثلاتنا للعالم في شكل مكونات مجالية مختلفة ومتعددة يمكننا أن نعرف بعض المظاهر وننفذ إلى بعض التجليات الأساسية لعقلية الناس الذين هم الأصل.

وعموماً فإن تطور اللسانيات والسيميولوجيا أسهم في تقدم الاشتغال على التمثلات بمختلف أنواعها.

(7) Borbolan, J, Cl, R (1993). Une notion clef des sciences humaines, *Revue Sciences Humaines*, n° 27: 17.

(8) André, Y. (1998). Enseigner led représentations spatiales. Anthropos. *Economica*. Paris: 43.

(9) Boughali, M. (1974). *La représentation de l'espace chez le marocain illettré*. édit, Afrique, Orient casablanca: 4.



شكل 2: الأشكال الثلاثة للتمثلات المعرفية

2 – التمثلات في الجغرافيا أو جغرافية التمثلات:

2–1 تحديدات أولية:

برغم تعدد الأطر المرجعية والنظرية للجغرافيين، يمكن أن نجد بينهم نوعاً من التقاطع حول الصفات الرئيسة التي تضفيها العلوم الاجتماعية على مفهوم التمثلات، فالخلاف الوحيد الذي يحتمل وقوعه بين جغرافيين اثنين، هو مجرد الأخذ بعين الاعتبار أولاً، صفتي (Attributs) التمثل اللتين أشرنا إليهما سابقا: (السيرورة + النتاج).

وانسجاماً مع طبيعة موضوع هذه الدراسة نورد بعض التعريفات الجغرافية:

* **روجي بروني**: «التمثل هو استحضار شيء في الذهن، وبصفة عامة، التمثل شكل تتخذه فكرة أو ظاهرة أو موضوع أو مجال في الذهن (...) إننا نتصرف حسب تمثلاتنا للحقيقة والواقع، سواء أكانت هذه الحقيقة مدركة أم متخيلة فقط (...) إن التمثلات المجالية تمثل ظواهر وأشياء معينة في المجال، تمثلها في

مورفولوجيتها. وقد يطرح التمثل إشكالات لبعض الناس...»[10]. ولئن كان بروني من الذين يدعون إلى وضعية جديدة (néopositivisme)، فإنه يقول: «في الوقت الحاضر بدأ الجغرافيون ينصرفون عن الإدراكات المجالية نحو الاهتمام أكثر بالتمثلات المجالية. وهكذا فإن الانشغال بالتمثلات يزيد على حساب الإدراك»[11].

* **أنطوان بايي**: «التمثل هو إنشاء اجتماعي، جماعي أو فردي، لتمثيلات (Schémas) ملائمة للحقيقة، وذلك في إطار أيديولوجيا ما»[12]. وقد لاحظنا أن جميع التعاريف التي يعطيها بايي في مختلف أعماله، تأخذ كثيراً من بياجي وكانط وأفلاطون.

* **جان بول كيران**: «التمثل هو إنشاء اجتماعي أو فردي لتمثيلات ملائمة للواقع والحقيقة»[13].

* **فرانسوا أوديجيي**: «التمثل بناء ذهني، وهو سيرورة معرفية وحصيلة هذه السيرورة»[14].

نستشف من هذه التعاريف وغيرها أن التمثلات ظاهرة مركبة، أو بتعبير جغرافي هي عبارة عن مزيج مكون من مجموعة عناصر، مثل الصور الذهنية والقيم والمعتقدات والمعلومات، و... هذه الكلية المنسجمة أحياناً والمتنافرة أحياناً أخرى هي تعبير عن ذات وبناء موضوع. وتأسيسا على هذه البدهية تكون جغرافية التمثلات المجالية تخصصا أو اتجاهاً يعنى بالحركة (le mouvement) والعمل (L'action) والصورة الذهنية (L'image mentale). إنها جغرافية السيرورات المجالية والفاعلين في المكان والزمان، قوتها في كونها تهتم بالأبعاد الذاتية للمجال دون إهمال البعدين: الموضوعي والاقتصادي.

(10) Roger, B., et al. (1994). *Les mots de la géographie,* Dictionnaire critique. Reclus, Paris: 428-429.

(11) Idem: 378.

(12) Bailly, A., & Ferras, R., Pumain, D (1992). *Encyclopédie de géographic.* Economice, Paris: 372.

(13) Guérin, J-P. (1998). Géographie et Représentation, in André, Y; Enseigner les Représentations spatiales, op, cit: 77 (voir aussi, Bailly, A., & al, *Encyclopédie de géographie,* op, cit: 374).

(14) Audigier, F. (1998). in André, Y. *Enseigner les représentation spatiales,* op, cit: 26.

2-2 مبادئ جغرافية التمثلات:

2-2-1 مدخل ابستمولوجي:

يظهر مما سبق أن كلمة «تمثل» ذات معان ودلالات متعددة (Polysémique). وإذا كان بعض الجغرافيين يعتقدون أن هذا التعدد السميولوجي قمين بعرقلة السير العادي للدراسة الجغرافية، ومن ثم إبعادها عن خاصية التحديث (L'aggiornamento) الذي بدأت تعرفه منذ ستينيات هذا القرن، فإننا نُعد، خلافاً لذلك، أن التعدد ظاهرة صحية من شأنها إثراء البحث الجغرافي. إن الاختلافات في طرائق صياغة الإشكالية الجغرافية، وتوطين الظواهر الاجتماعية، وتحليل التوزيعات والتدفقات تسهم في البحث عن هوية الأفراد والجماعات المنعزلة والطبقات والشعوب المنغلقة. وهكذا تلتقي الجغرافيا بالسوسيولوجيا والفينمينولوجيا والأنثروبولوجيا والسيكولوجيا والسيميولوجيا والاقتصاد. إن التحليل الجغرافي يتضمن البعد الرمزي إلى جانب البعدين: البنيوي والوظيفي. لقد تحدث لنتش Lynch عن المظهر البنيوي للمجال الذهني (espace mental) بحسبانه يمكن من معرفة الطريقة التي يستعمل بها الأفراد بنيات الوسط خلال ممارساتهم المجالية. أما المظهر الوظيفي فإنه يركز أساساً على مفهوم الزمان/المكان (Espace/Temps) من أجل تفسير مشكلات إمكانية الوصول والمقدرات الاقتصادية للأمكنة. أما المظهر الرمزي فيكاد يكون ابتكاراً خاصاً بجغرافية التمثلات التي توظفه للكشف عن تنوع الدلالات المجالية وعن شبكة العلاقات التي تربط بين الإنسان والمجتمع والطبيعة.

2-2-2 المبادئ الأساسية لجغرافية التمثلات:

تعرف جغرافية التمثلات كذلك بجغرافية الحركة وجغرافية الفاعلين. وتقوم على مبادئ، تميزها أحياناً عن مثيلاتها الكلاسيكية والجديدة، وتجمعها بها أحياناً أخرى. ونورد هذه المبادئ كما طرحها دعاتها: أنطوان بايي وايف اندري.

2-2-2-1 مبادئ أنطوان بايي

- **مبدأ المخيال:** كل مقترح جغرافي هو صورة، أي نموذج مبسط للعالم أو جزء منه.

- **مبدأ التمثيل:** ليس المجال في ذاته هو موضوع الدراسة، لأن الموضوع الحقيقي هو ذلك الذي نبنيه، فالمعرفة الجغرافية مؤسسة على تمثل الظواهر

وتمثيلها انطلاقاً من المفاهيم. إن الجغرافيا لا تستطيع إذن أن تكون علم المشاهد ولكنها علم تأويل العلامات والرموز.

– **مبدأ الإنشاء:** يكون التمثل إنشاءً لتمثيل ملائم، لكنه متحيز لسيرورة أو لمجال. ويحيلنا هذا التمثيل إلى الأيديولوجيات وطريقة بنائها.

– **مبدأ التغذية الراجعة** (Rétroaction) والعكس صحيح. ذلك أن التمثلات تتغذى بالممارسة والعكس صحيح.

– **مبدأ الوجود:** يهتم الجغرافيون بالأفراد داخل المجتمع إلا أنهم هم أنفسهم جزء من المجتمع الذي يعكسون أيديولوجيته[15].

2-2-2-2 مبادئ إيف أندري:

– إن جغرافية التمثلات تسعى إلى الحفر تحت التنظيمات المجالية متجاوزة بذلك الجغرافية التقليدية والكمية. فهي تلاحظ أن اشتغال المجالات هو نتيجة للقرارات المجالية التي تتخذها المجموعات والأفراد الذين يشكلون المجتمع. وتنبع هذه الملاحظة من مسلمة مفادها أن المهم لا يكمن فقط في معرفة بنية التراب ولكنه يكمن أيضا في إعداده وتهيئته.

– ليس المجال مجرد حامل ومعطي تقوم عليه حياة المجتمع، ولكنه خلق وإنشاء اجتماعي أيضاً (كوط 1988, M. Cote:9)، فالمجال إذن لا يتوافر على جوهر خاص.

– إن جغرافية التمثلات تَعُدُّ الإنسان فرداً، أو فرداً داخل المجتمع، ومن ثم فهو عنصر فاعل في المجال من خلال إحساساته، وقراراته وأعماله. إنه يسهم دائماً في تعديل الأمكنة.

– إن هذه القرارات والأعمال ليست تعبيراً عن عقلانية اقتصادية كاملة أو تبليغاً تاماً، لأن المعرفة الضمنية أو الصريحة للمجال – والتي يمتلكها الناس – هي معرفة ذاتية في أساسها. ذلك أنه بين الإنسان ووسطه تتوسط سيرورة المعرفة[16].

فيما يلي جدول يوضح بعض الاختلافات المبدئية بين جغرافية التمثلات وجغرافيات أخرى.

(15) Bailly, A., Béguin, H. (1992). *Les concepts de la géographie humaine*. Masson, Paris: 19-21.

(16) André, y., & Bailly, A. (1998). Les représentations spatiales des territoires et du monde. *Revue Perspectives*, UNESCO, n° 106 volume XXXIII: 307-311.

جدول 1: الاختلافات المبدئية بين جغرافية التمثلات وجغرافيات أخرى

جغرافية التمثلات		جغرافيات أخرى	
مجال وموحيات	مفاهيم ودلالات	مجال وموحيات	مفاهيم ودلالات
ذاتي	حضور الأنا	موضوعي	إقصاء الأنا
مجرد	إحساس وعاطفة	ملموس	الإدراك بالحواس
المخيال الداخلي	أدبي – علم الأعصاب	الواقع الخارجي	العلوم الحقة
اجتماعي	حامل ومنتوج	مادي	حامل المجتمع
الغيرة الإنسانية	الفردانية	الحياد	الكليانية
ممركز حول الذات	باطني	خارج عن الذات	ظاهري
مشيد	قابل للملاحظة لكنه غير قابل للتعميم	معطى	قابل للملاحظة والقياس والتعميم
أيديوغرافي فردي	وصفي وتفسيري	نوموطتيكي تعميمي	إنتاج قواعد علمية
كيفي نوعي	غير إحصائي	كمي حجمي	إحصائي
فينمنولوجي	الظواهر الفردية	وضعي	الظواهر العلمية

* ملاحظة: إن الهدف من هذا الجدول ليس تكريس انفجار المادة ولا إقامة تعارض بين تيار وآخر.

3-2 إدراج التمثلات في دراسة الجغرافيا وتدريسها:

تطورت جغرافية التمثلات في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأربعينيات، في حين تأخر اعتمادها في الجغرافية الفرنسية إلى أوائل الستينيات. وقد استوحت هذه المولودة الجديدة شيئاً كثيراً من الجغرافية الاجتماعية والفينمينولوجيا. كما أنها حاولت أن تقطع أبستمولوجيا مع الجغرافيا الكلاسيكية التي ظلت تَعُدُّ المجال شيئاً مطلقاً وملموساً قابلاً للتحليلات الموضوعية. إن جغرافية التمثلات تَعُدُّ المجال

الجغرافي مجرداً ومشيداً من قبل الأفراد والجماعات. ولذلك تستوجب دراسته مقاربة شمولية، ذاتية وموضوعية، كيفية وكمية، استنباطية واستقرائية، تأويلية (Herméneutique) ومحايثة (Immanente). ففي المجال الواحد يتداخل المخيال بالإحساس، واللاوعي بالوعي. وإلا كيف نفسر موضوعياً تشبث ساكنة ما بمكانها برغم قساوته أو رداءته (Tuan Yu fi, Topophilia, Englewood cliffs, Prentice) Topophobie + topophilie Hall 1974، وكيف نفسر مقاومة أخرى ورفضها لتجديدات (Innovations) نبغي نشرها[17].

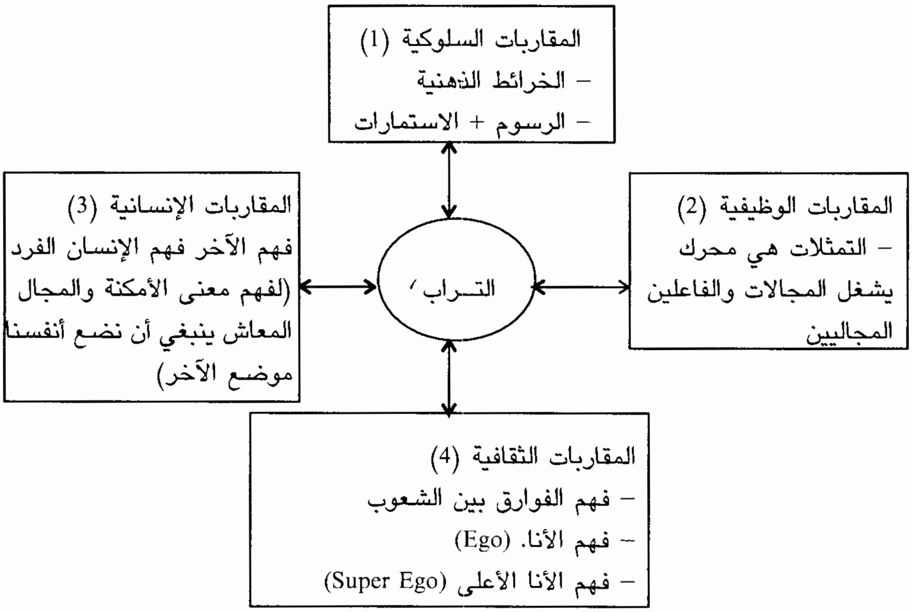
إن مجال الجغرافية متميز بالفوضى (Le chaos)، وقد بين إدجار موران (Edgar Morin) في عدة مناسبات، العلاقة التفاعلية بين النظام (L'ordre) واللانظام (le désordre). «فإذا أراد الجغرافي أن يفهم نشأة هذا العالم المعقد وتطوره، وإذا أراد البحث عن النظام داخل هذه الفوضى، يجب عليه أن يتقبل الطابع العشوائي للتغيير، وكذلك اللاعقلانية الظاهرة للسلوكات البشرية. وهو مطالب أيضاً بالاهتمام برمزية المكان على طريقة كاستون باشلار، وبمظاهره الأسطورية على طريقة كوكلان (A.Coquelin)، وبدلالاته الذاتية على طريقة سانصو. (L.Sansot)[18]. وفي هذا السياق يرى محمد بوغالي أنه «خلف اللانظام الظاهر لخرائط العالم المنجزة من لدن مغاربة أميين، يثوي تنظيماً مبنياً على انشغالات متعددة. إن هؤلاء الأميين يوطنون بلدهم في المجال انطلاقاً من نقاط جغرافية أخرى، إلا أن العلاقة هنا ليست علاقة موضوعية طبوغرافية ولكنها علاقة ذاتية متصورة ومتخيلة من طرف المسؤولين أو المفحوصين»[19].

نستنتج مما سبق الأهمية المتزايدة للتمثلات في البحوث الجغرافية، أهمية أنتجت كثيراً من المقاربات لإشكالية التمثلات في الجغرافيا.

(17) Bailly, A., & Béguin, H. (1992). *Introduction à la géographie humaine*. Masson, Paris: 15.

(18) Bailly, A. (1989). L'imaginaire spatial, Plaidoyer pour la géographie des représentations, *Revue Espace Temps*, n° 40-41. C.N.R.S: 53-54.

(19) Boughali, M, op, cit: 251-265, voir aussi: 183-226.



شكل 3: أهم تيارات التمثلات في الجغرافيا

(عن إيڤ أندري: Enseigner les représentations spatiales: 78-79 **، بتصرف)**

2-4 المفاهيم الجغرافية في سياق التمثلات:

إن اعتماد مفهوم التمثلات في التحليل والاستقصاء الجغرافيين، سواء على مستوى التعليم أو على مستوى البحث الأكاديمي، قد أدى إلى إعادة النظر في عدد من المفاهيم الجغرافية، مثل المجال والمسافة والمكان والتراب والجهة والمقياس.

2-4-1 المجال: L'espace

أدت الثورة الابستمولوجية التي شهدتها الجغرافيا خلال الخمسينيات والستينيات إلى ميلاد مفاهيم جديدة توجت بتبني المجال بوصفه مفهوماً مركزياً في الفكر الجغرافي لدرجة أن الجغرافيا بدأت تعرف بأنها «علم المجال». إلا أن أصحاب جغرافية التمثلات يفضلون تعريفها بطريقة مغايرة: «دراسة تنظيم المجال والممارسات المجالية المترتبة على ذلك». وهذا يعني بكل صراحة أن المجال الجغرافي ليس مجالاً إقليدياً معطى ومطلقاً، بل هو مجال ذاتي، مجرد وغير متري.

إن جوهر المجال يكمن في الطريقة التي يتمثله بها الأفراد، وفي الفكرة التي يكونونها عنه. فالمجال الجغرافي هو أولاً مجال سيكولوجي قبل أن يكون تاريخياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، وليس الإنسان الذي يدرس هذا المجال مجرد فرد محايد يمكن وضعه في معادلة رياضية، ولكنه كائن من لحم ودم، يخضع أحياناً إلى نزوات

ليس للعقل عليها أي سيطرة. وأكثر من هذا أليست الغابة والبحر والثلج مجالات للرياضة والارتخاء والنزهة في التمثلات الاجتماعية أكثر من كونها حقائق فيزيائية طبيعية[20]. إن الجبل حسب كوميشيان (Gumichian)، مجال قروي ومُعاش أكثر من ارتفاع كما يتصوره الجغرافي ويتمثله المهندس، (إيف أندري: 114).

وفي السياق نفسه يمكن أن نقول بأن /الجبل/ كدال (Signifiant)، له مدلول (Signifié)، قد يحيل إلى التزحلق، أو الرياضة أو التجول بالنسبة للسائح، وقد يحيل إلى الرعي أو الخشب أو الانتصار على الاستعمار بالنسبة لإنسان يسكن الجبل. إلى جانب العلاقة الطبيعية (naturel) بين الدال والمدلول، هناك علاقة اتفاقية (couventionnel) أو اعتباطية تعسفية (arbitraire) على حد تعبير فرديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure) «ليس الإنسان في حاجة إلى تسجيل واع، وبطريقة خطية، لجميع الأجزاء الحاضرة من أجل تكوين فكرة شمولية عن المجال الذي يزوره أو يسكنه (...) إن الفكرة الشمولية الناتجة ليست هي الحقيقة الموضوعية، أي المجال كما هو، ولكنها المجال المعاش، الذي مر بالمصفاة الذاتية للإدراك. وهذه المصفاة مشروطة بتجارب الذات القبلية، وبلغتها وثقافتها»[21]. وهكذا فإن جغرافية التمثلات تستعمل المجالات بدل المجال والمسافات بدل المسافة.

2-4-2 المسافة: La distance

المسافة في التصور الإقليدي هي مجال مستقيم، وفرق مكاني بين نقطتين. وقد ظلت الجغرافيا منحصرة في استعمال المسافة الكيلومترية، إلا أن جغرافية التمثلات طرحت عدة بدائل، منها المسافة العاطفية الوجدانية التي تأخذ بعين الاعتبار ما يسقطه الفرد من أحاسيس على كل مسافة يعبرها أو يتخيلها، وتُعد الخرائط الذهبية التي دشنها بيتر جولد (Peter Gould) مثالاً واضحاً لإدراج القيم والصور الذهنية، والتمثلات الفردية والجماعية في التصور العام للمسافة.

في هذا الإطار يبين محمد بوغالي كيف يتمثل الأمي المغربي المسافة بين نقطتين جغرافيتين[22]، كما أن الخرائط ذات الأبعاد المتعددة (Les Piézoplèthes) التي وضعتها الباحثة كوفان (C. Cauvin)، توضح الروابط الموجودة بين المدن

(20) Giolitto, P. (1992). *Enseigner la géographie à l'école*. Hachette éducation: 29.

(21) Miess, V, P. (1986). *De la forme au lieu, une introduction à l'étude de l'arrchitecture*. Presse polytechniques romande, Lausanne: 113-114.

(22) Boughali, M, Op, Cit:174.

الفرنسية بوساطة وسيلة نقل معينة، مثل القطار ذي السرعة الكبرى (T.G.V). وهكذا قاست المسافة الكيلومترية بالزمان، فاستعملت الأنامورفوز (L'anamorphose) للانتقال من «المقياس الطوبغرافي» إلى «المقياس الزمني». ومن هذا المنظور تتمثل الباحثة المدن التي يتوقف بها القطار (T.G.V) في شكل مدن متقاربة فيما بينها، في حين تتمثل المدن التي لا يتوقف فيها القطار متباعدة فيما بينها[23]. وفيما يلي جدول تلخيصي لأهم أنواع المسافات.

جدول 2: أنواع المسافات

أنواع المسافات	مميزاتها
المسافة الكيومترية (à vol d'oiseau)	هندسية – قابلة للقياس – استقرائية خارجة عن الذات – موحدة (isotrope)
المسافة الزمنية distance-temps	في مدد وقتية حسب وسيلة نقل وشبكة محددتين، ناهيك بالسرعة، وهي مسافة قابلة للقياس، ولا تستبعد فيها التمثلات.
المسافة السعرية Distance-coût	كمية – قابلة للقياس – استنباطية – تعميمية
المسافة السيكولوجية Distance psychologique	عاطفية – وجدانية، غير قابلة للقياس، مدركة، معاشة – متخيلة.
المسافة الاجتماعية Distance sociale	مستوحاة من السوسيولوجيين والأخلاطيين
المسافة الركنية Distance angulaire	قابلة للحساب
المسافة الربعية Distance Quadratique	تستعمل في حساب المغايرة (Variance) والانحراف المعياري (Ecart-type)

(23) Bailly, A., & Ferras, R., & Pumain, D, op, cit: 145.

2-4-3 المكان: Le lieu

إن المكان ليس مجرد حامل فيزيقي، ولكنه حقل دلالي خصب أيضاً، يحبل بكثير من الأحاسيس والتخيلات والقيم. فقد تصور مارتن هيدغر (Martin Heidegger, 1889-1976) المكان كأنه شيء له قوة الجمع بين رباعي الكون (quadriparti) الذي هو: الأرض (Terre)، والسماء (Ciel)، والأموات (Mortels)، والسماويون (Divins).

أما المدرسة الهوسرلية (Husserl) فترى أن الإنسان هو الذي يسقط المعنى على المكان والموضوع، ويعرف المهندس المعماري السويسري بيير فون مييس (P.Von Miesse: 145-155) المكان بأنه شيء مكون من التفاعل بين الناس والزمان والمجال، فهو أصل الالتقاء الديناميكي بين المخططات المفاهيمية المرتبطة بتمثل العالم، وبين الوضعيات الزمانية والمجالية الخاصة، وعن طريق هذا الالتقاء، يكتسب المكان بعده الثقافي. إن المكان ينشأ حسب برنارد هوييت (Bernard Huet) من التصرفات والسلوكات الاتفاقية المرتبطة بمخططات مفهومية حول وضعيات مجالية من الضوء، والشكل و... إن جميع علاقات الناس بالأمكنة هي مشفرة بعلامات ورموز تمنحها المعنى (...) وفك هذه الشفرة هو من ضرورات الجغرافيا[24].

2-4-4 التراب أو الأرض Le territoire

إنه بناء عاطفي واجتماعي إلى جانب كونه معطى سياسياً واقتصادياً وقانونياً. إن حسبان تمثلات السكان شرط ضروري لإنجاح التهيئة أو الإعداد الترابي. فعندما يصبح مجال ما معمراً ومحتلاً من طرف مجتمع ما، احتلالاً مادياً أو معنوياً، فإنه يصير ترابه، ذلك لأن تملك التراب يكون أيضاً بالروابط والقرارات التي تتجاوز مستوى الممارسة الملموسة. وفي هذا الصدد يرى بيفوطو (Piveteau J.L) أن التراب ينبثق من مقاربة نوموطتيكية وأخرى أيديوغرافية، استنباطية تعميمية واستقرائية وصفية، الأولى نازلة لأنها تطمح إلى تعميم القواعد والقوانين، والثانية صاعدة لأنها ترتكز على الخصوصيات الفردية. إن أحد مؤرخي مدرسة الحوليات الفرنسية، لوروا لادوري (Le Roy Ladurie) يستعمل الاستعارة أو الانزياح في اللغة (L'écart) من خلال عبارة «تراب/ المؤرخ» (Le territoire de l'historien)

(24) Idem: 381.

للدلالة على الميدان الذي يزاول فيه نشاطه. كما أن إدغار موران استعمل عبارة «تراب/ العلوم» (Le territoire des sciences) للدلالة على مجال التجريب والعمل والتفكير الذي يزاول فيه «العالم» أنشطته.

2-4-5 الجهة أو الإقليم: La région

لقد ذهب بول سانصو إلى حد القول «بأن الجهة لا تُحيا إلا بانخراط السكان فيها وتعميرهم لها. فهم الذين يسكنونها ويمزجون مصيرهم بمصيرها[25]. إننا نرى أن الجهة في جغرافية التمثلات، ليست مجرد الجهة الطبيعية المتجانسة، ولا الجهة الاقتصادية الاستقطابية، ولا الجهة الإدارية المقسمة والمقطعة، ولكنها كذلك الجهة العاطفية والمعاشة من قبل أفراد يمتلكون الإحساس بالانتماء إلى مجال هو جزء منهم. فقد أشرنا سابقاً إلى أن كانط يرى عدم قدرة العلوم الاجتماعية على النفاذ إلى الموضوعات التي نود دراستها، إذ إنها لا تنفذ إلا إلى التمثلات التي تتكون لدينا حول هذه الموضوعات. ويضيف بايي وأندري: إننا لا ننفذ إلى الجهة ولكن فقط إلى بعض صفاتها. إن ما ندرسه هو عبارة عن نماذج للعالم وليس الواقع أو الحقيقة[26].

2-4-6 المقياس L'échelle

إن إعادة النظر في هذا المفهوم ليست ثمرة التمثلات، ولكنها نتيجة لثورة ابستمولوجية. وهكذا لم يعد مقبولاً، سواء على مستوى البحث الجغرافي أو على مستوى الممارسات الخطابية، حصر المناقشة في المقياس الكارطوغرافي الذي يكون في شكل كسري أو خطي بياني. (مقياس كبير ومقياس صغير). لقد أصبح المقياس مفهوماً أكثر من مصطلح علمي ثابت الدلالة ووحيد المعنى. إذ نجد الحديث عن المقياس الاجتماعي والمقياس الاقتصادي... إلخ.

3 – واقع التمثلات في الإنتاج الجغرافي في المغرب:

3-1 حضور ضعيف:

إن الحديث عن التمثلات في الإنتاج الجغرافي في المغرب يقود منهجياً إلى طرح السؤال حول طبيعة هذا الإنتاج نفسه ونشأته. وعندما نرجع إلى أعمال الندوة التي عقدت حول البحث الجغرافي في المغرب، نجد أن هذا الإنتاج سجين رؤية قديمة (الحماية)، سواء في طرائقه أو في أهدافه والموضوعات التي يعالجها. الشيء

(25) André, Y (1998). *Enseigner les représentations spatiales*, op, cit: 88.

(26) Bailly, A., & Ferras, R. (1997). *Eléments d'épistémologie de la géographie*. op, cit: 15.

الذي غيب بعض المفاهيم الحديثة، مثل التمثلات التي لا يزال بعض الباحثين يُعدها حكراً على السيكولوجيا والسوسيولوجيا وعلم النفس المعرفي.

إن إدخال التمثلات إلى الجغرافيا يقتضي نوعاً من التناهج والانفتاح على التخصصات التي رأيناها تهتم بالتمثلات الفردية والجماعية. غير أن الجغرافي المدرس أو الباحث حالياً، الطالب سابقا، يفتقر إلى هذا الانفتاح، لأن المقررات والبرامج، تفصل ابتداء من السنة الثالثة إجازة، بين التاريخ والجغرافيا ناهيك بالتهميش الكلي لبعض المواد التي تُعد ضرورية لإغناء المعرفة الجغرافية، مثل الفلسفة واللسانيات. ويرجع هذا الفقر في رأينا إلى غياب مناهج (Curriculums) واضحة ودقيقة في النظام التعليمي المغربي وإلى غياب السند الابستمولوجي – في المقررات الحالية – يأخذ بعين الاعتبار تمثلات الفئات المعنية (تلاميذ، وطلبة، ومدرسون...). ونعتقد أن الوقت قد حان ليعرف الجغرافيون أن أنساقهم مفتوحة وليست مغلقة كما يرى بعض الباحثين في الأنساق الرياضية[27]، فلا بد إذن من التكوين المستمر للجغرافي والباحث والإنسان بصفة عامة. الشيء الذي حدا ببعض المنظمات الدولية والإقليمية إلى عقد ندوات ولقاءات تحث فيها الرأي العام والمنظمات الحكومية وغير الحكومية على التناهج والتعايش والتلاقح والتكوين المستمر في إطار «التربية مدى الحياة» (L'éducation tout au long de la vie.)[28].

2-3 غياب التمثلات في خطط التهيئة:

إن الاهتمام بالتمثلات الفردية والجماعية التي تكونت لدى المجتمع المغربي عن المجال في مقاييسه المختلفة، اهتمام ضعيف جدا، فحسب علمنا، هناك محاولتان تستحقان التشجيع: المحاولة الأولى قام بها السوسيولوجي والاتنوغرافي المغربي، محمد بوغالي، والثانية قام بها الجغرافي المغربي محمد بلفقيه. إن البحث الذي أنجزه بوغالي ما بين 1969-1971، سمح برصد التمثلات المجالية وتحليلها وتأويلها عند بعض المغاربة الأميين. ووظف في ذلك عدة تقانات وطرائق، مثل الرسوم والملاحظة المباشرة والاستبانات والمقابلات الشخصية إلى جانب الخرائط الذهنية.

أما بلفقيه، **فكان يوجه طلبته** إلى طريقة رصد التمثلات وتشخيصها التي يختزنها سكان الرباط وسلا حول المجال. ونعتقد أن اعتماد المخططين وأصحاب

(27) Brunet, R., *et al.* (1994). *Les mots de la géographie*. op, cit: 472, voir aussi:
محمد عمر الفرا (1983). **مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية**، وكالة المطبوعات، ص293.

(28) Delors, J., & al. (1996). L'éducation, un trésor est caché dedans. Publication de l'UNESCO: 18.

القرار السياسي على هذا الصنف من الدراسات أضحى ضروريا في تهيئة التراب الوطني، بحيث إن الدراسات الأولية التي تسبق المشروع في بلدنا، مازالت دراسات تقانية محضة، اجتماعية غير معمقة عند الاقتضاء. فعلى سبيل المثال لا تزيد احتمالات نجاح مشروع الإصلاح الزراعي إلا بتشخيص التمثلات التي يكونها السكان المعنيون حول مجالهم.

في هذا السياق يحاول بوغالي الكشف عن «الأسباب العميقة لتشكيل تمثلات بعض المزارعين لملكيتهم العقارية، المجزأة والمتناثرة. إذ إن التجزئة والتباعد يعنيان بالنسبة لهؤلاء، فرصة للربح المادي والكثرة وحضور نفوذ القبيلة أو الشخص في أمكنة متعددة»[29]. إن العلاقة بين الدال والمدلول التي هي علاقة شبه طبيعية عند هذه الشريحة تصبح علاقة اتفاقية أو اعتباطية عند أمريكي مثلاً ألف الاستغلاليات الكبرى، فهو لا يرى في هذا التشتت المورفولوجي إلا نوعاً من «ضياع الوقت والجهد من دون أي ضمانة».

* وفيما يلي نقدم مثالين يبرزان تهميش التمثلات في سياسة الإعداد والتخطيط التنموي:

3-2-1: يرجع إخفاق مشروع لمويسات لعطاطرة الذي وضعته الدولة منذ سنة 1963 بمنطقة دكالة إلى تهميش الجغرافيين من جهة، وعدم الأخذ بعين الاعتبار المجال السيكولوجي والتاريخي للمنطقة المعنية. فقد حاولت الدولة تجميع الأراضي (remembrement des terres) عن طريق إقامة قرى نموذجية (Villages pilotes) فوق المساحات المنتزعة، وكان الهدف هو تحقيق تنمية زراعية عمودية بتحسين المردود من خلال تكثيف الإنتاج، واستعمال الأسمدة والمبيدات الكيماوية والبذور المختارة، وطرق السقي والحرث وأساليبهما الحديثة. إلا أن مشروع إعادة هيكلة السكن القروي، والإصلاح الزراعي أخفق لعدم اعتبار المخططين لمركبات السكان السيكولوجية والتاريخية أو تمثلاتهم المجالية. فقد بينت التجربة أن الدواوير التي تم تجميعها في شكل «كونجلومرا»، ظلت سجينة عداء ونزاعات تاريخية قديمة بينها. كما أن بعض العناصر التي كانت تتمتع بامتيازات داخل الدوار الواحد تخوفت من أن تضيع منها، ناهيك بكون محاولات التحديث ونشر المستجدات الفلاحية لم تدرك

(29) Boughali, M, op, cit: 174.

حقيقة أساسية، وهي أن عقلية السكان كانت لا تزال نابذة ومقاومة أكثر منها جاذبة ومتقبلة (هاكرستراند).

3-2-2: وفي مجال السكنى والتعمير، تكشف مخططات تنظيم التراب (Plan d'organisation du sol)، والتصاميم المديرية للتهيئة الحضرية (Schéma Directeur d'Aménagement Urbain) عن إهمال جانب التمثلات الخاصة. إننا نلاحظ دائماً أن السلطات المحلية تفرض، فيما يخص البناء، معايير ومقاييس وتصاميم محددة لا تلامس الأشخاص المعنيين. وفي حالة عدم احترامها لا تمنح رخص السكن. وهنا تكمن *المفارقة الكبرى* لأن العائلة تتكون مثلاً من اثني عشر فرداً، في حين تفرض *السلطات* تصميما من ثلاث غرف. *إن المواطن هو الذي* يتحمل كل العواقب برغم أنه موضوع في إطار إنجاز مشروع مصيري بالنسبة إليه: مشروع مؤسس على تمثل، وهذا التمثل مؤسس على معادلة هي «الدار قبر الدنيا».

خاتمة:

لقد أدى اتجاه التمثلات في الجغرافيا إلى ردود فعل متباينة نكتفي بذكر بعضها:

* موقف معارض: يعد كلود بوليو من أهم ممثلي الاتجاه الرافض لجغرافية التمثلات بسبب طبيعتها العاطفية والوجدانية. يقول بوليو (Pouliot): «في الواقع، كيف يمكن أن نقبل جغرافيا تسقط، وتتماهى في العاطفة والوجدان؟ إن بايي يدحض الموضوعية الديكارتية أو «الاختزالية» ليس من أجل بناء موضوعية أخرى تكون بديلة، ولكن فقط من أجل إحلال الذات محل الموضوع»[30].

* موقف مؤيد: يمثله إيف أندري الذي يدافع من أجل هذه الفردية والعاطفة *والمخيال. كما أن ماري كليرروبيك تحدثت عن الجغرافيا في سياق ما بعد الحداثة* (Postmodernité)[31]. ونحن نعرف إماراتها الثلاث التي هي: اللاعقلانية (Irrationalisme)، واللانظام (Désordre) واللااستقرار (L'instabilité).

* موقف وسط بين الموقفين الرافض والمتحيز: يمكن أن ندرج موقف كل من فليب وجنفييف بنشمل وكريستيان دوديل. يقول بنشمل: «إن المقاربات الكمية

(30) Pouliot, Cl. (1989). Science ou empathie, *Rev Espace Temps*, op, cit: 59.

(31) Robic, M-Cl. (1992). *Du milieu à lenvironnement*, Paris: 89.

تطرح مشكلة الغايات والوسائل، في حين تحصر الوسائل الأدبية الجغرافيا في القيم الإجرائية. إن الوسائل الكمية أكثر إجرائية لأنها تفتح نوافذ وآفاقاً نظرية، ولكنها لا تستثير إلا ما هو قابل للقياس. إنها لا تدرج إلا جزءاً من ثوابت الواقع، ومن ثم فقد تفقد الجغرافيا جزءاً من جوهرها»(32). أما دوديل فيقول: «في الجغرافيا، العلاقة متينة بين مفهوم الإدراك ومفهوم التمثلات الذهنية أو المجازية. فكلاهما يشكلان وجهين لورقة واحدة»(33).

ويستنتج روبير فيراس وأنطوان بايي من مقولة لموسكوفيشي أن الجغرافيا معرفة مبنية من طرف جماعة باحثين لها قواعدها الاجتماعية والعلمية الخاصة، وذلك انطلاق من منطق يكون فيه فهم عالم العلوم الإنسانية مستدعياً فهم الكيفية التي يدبر الفكر بها العلاقات والمؤسسات. وذلك لأن ما من علاقة أو مؤسسة إلا وتمرر صوراً ومصطلحات ما(34).

في نهاية هذه الدراسة النظرية نلح على أن التمثل ليس صحيحاً ولا خاطئاً، ولكنه أكثر إجرائية أو أقل. ولكي نمنح الجغرافيا دينامية وروحا جديدتين، ينبغي أن يفهم الجغرافيون أن حسبان التمثلات المجالية للأفراد والجماعات أضحى من الشروط اللازمة لملاءمة الخطاب الجغرافي ومصداقيته.

المصادر

إيمانويل كانط (1987). **نقد العقل الخالص.** ترجمة: محمد وقيدي، ما هي الابستمولوجيا؟ مكتبة المعارف، ص155.

محمد عمر الفرا (1983). **مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية.** الكويت: وكالة المطبوعات.

André, Y. (1998). Enseigner les représentations spatiales, *Anthoropos. Economica*, Paris.

André, Y., & Bailly, A. (1998). Les représentations spatiales des territoires et du monde. *Revue Perpectives.* Publications de l'UNESCO, No. 106, vol. XXIII, Juin: 307-311.

Bailly, A, (1989). L'imaginaire spatial, plaiddoyer pour la géographie des représentations. *Revue Espace Temps*, C.N.R.S, No 40-41: 53-54.

(32) Pinchemel, Ph., & Geneviéve (1992). *La face de la terre, éléments de géographie humaine.* Armand colin: 442.

(33) Daudel. ch. (1990). *Les fondements de la recherche en didactique de la géographie*, Peter lang, Berne, Suisse: 154.

(34) Bailly, A., & Ferras, R. (1997). *Eléments d'épistémologie de la géographie*, op, cit:15.

Bailly. A., & Ferras, R. (1997). *Eléments d'épistémologie de la géographie.* Armand colin,. Paris.

Bailly, A., & Béguin, H. (1992). *Les concepts de la géographie humaine.* Paris: Masson.

Bailly, A., & Béguin, H. (1992). *Introduction à la géographie humaine.* Paris: Masson.

Bailly, A., & Ferras, R., & Pumain, D. (1992). *Encyclopédie de géographie.* Paris: Economica.

Borbolan, J. Cl. R. (1993). Une notion clef des sciences humaines, *Revue Sciences Humaines*, No. 27: 16-18.

Boughali, M. (1974). *La représentation de l'espace chez le marcocain illettré,* Casablanca: Afrique Orient.

Brunet, R., *et al*, (1994). Les mots de la géographie. *Dictionnaire critique,* Paris: Reclus.

Daudel, Ch. (1990). *Les fondements de la recherche en didactique de la géographie.* Berne, Suisse: Peter lang.

Delors, J., *et al*, (1998). *L'éducation, un trésors caché dedans.* Publications de l'UNESCO.

Denis, M. (1989). *Image et cognition,* Paris: PUF.

Giolitto, P. (1992). *Enseigner la géographie à l'école.* Hachette éducation.

Giordan, A., *et al*, (1987). *Les origines du savoir.* Paris: Delachaux et Niestlé.

Guérin, J. P., (1989). Géographie et Représentation, in André, Y, *Enseigner les Représentations spatiales,* op, cit, p: 77 (voir aussi, Bailly, A et al, Encyclopédie de géographie, op, cit: 374).

Jodelet, D., *et al*, (1987). *Les représentations sociales,* Paris: PUF.

Miess, V.P. (1987). *De la forme au lieu une introduction à l'étude de l'architecture.* Lausanne: Presse Polytechniques romande.

Piajet, J., & Inhelder, B, (1948). *La reprsentation de l'espace chez l'enfant.* Paris: PUF.

Pinchemel, P., & Geneviéve, (1992). *La face de la terre: éléments de géographie* humaine. Armand Colin: 442.

Platon (1966). *La république.* Paris: Flammarion.

Pouliot, Cl. (1989). Science ou empathie. *Rev Espace Temps,* CNRS, No. 40-41: 53-63.

Robic, M-Cl. (1992). *Du milieu à l'environnement.* Paris: Economica.

مقدم في: أكتوبر 1999.

أجيز في: إبريل 2001.